الحرب الليبية الأمريكية 1801 – 1805 م

أ. سارة مفتاح الجواشي
قسم التاريخ – كلية الآداب الجوش
جامعة الزنتان

الملخص :

عندما تولي يوسف القرمانلي الحكم اهتم بجانب واحد وهو تقوية أسطول الايالة الطرابلسية، ليس لحمايتها فحسب ولكن للسيطرة علي حوض البحر المتوسط وفرض الضرائب السنوية علي السفن التي تمر من البحر المتوسط، ومنها السفن الأوروبية والأمريكية، الأمر الذي أدي الي قيام حرب بين البحرية الطرابلسية والبحرية الأمريكية، والتي انتهت فيما بعد بعقد اتفاقية صداقة بين الطرفين .

When yuossf al-qarmanli assumed power , he was concerned with one thing , which was to strengthen the fleet of the Tripolitania , not only to protect it , but to control the Mediterranean basin , and to impose annual taxes on ships passing through the Mediterranean , including European ships an American ships , which led to a five-year naval war between the Tripoli navy . And the us navy , which later ended with a friendship agreement between the two parties

المقدمة :

يعتبر عهد يوسف باشا القرمانلي من الناحية العسكرية عهدا قويا، فبعد ان وطد حكمه باعتراف من السلطان العثماني سليم الثالث ، وجه اهتمامه لتقوية الأسطول الطرابلسي وبمباركة الدولة العثمانية للسيطرة علي حركة مرور السفن في البحر المتوسط وفرض الاتاوات والهبات علي السفن الأوروبية و الأمريكية الامر الذي ادي الي حصول الباشا علي

الكثير من الاموال في خزينته، ولكن سياسته القرصنية واسر السفن الأمريكية بصفة خاصة جلبت علي طرابلس حرب دامت لمدة 5 سنوات أثبتت فيها البحرية الطرابلسية قوتها في اكتر من مناسبة وانتصرت فيها البحرية الأمريكية في اكثر من مناورة : وبذلك فقد تم تقسيم البحث الي اربع مباحث، المبحث الاول : يتناول شخصية يوسف القرمانلي ووصوله الي السلطة، اما المبحث الثاني فتناول البحرية وتنظيمها وتطورها في عهده، ويتناول المبحث الثالث : الحرب البحرية الطرابلسية الامريكية ومقدماتها ونتائجها، والمبحث الرابع تناول نهاية هذه الحرب وتوقيع اتفاقية السلام بين الطرفين .

اما عن المصادر والمراجع فاستعنت ببعض المراجع الاجنبية والاطروحات المنشورة والمصادر العربية المترجمة مثل كتاب ليبيا منذ الفتح العربي حتي سنة 1911 للمؤلف اتوري روسي وترجمة خليفة التليسي وغيرهم .

الكلمات المفتاحية : يوسف، القرمانلي، البحرية، الطرابلسية، الامريكية .

منهج الدراسة :

لطالما كان المنهج التاريخي (الاسترادادي) هو المنهج المتبع في الدراسات التاريخية، فالمنهج التاريخي الاسترداي يقوم علي استرداد وقائع واحداث الماضي ودراستها وتحليلها وتفسيرها واستنباط حقائق ونتائج منها قد تفيد في المستقبل .

اهداف الدراسة :

تكمن اهمية الدراسة في تسليط الضوء علي فترة زمنية من تاريخنا الوطني الذي لازال يحتاج الي دراسة وتكريس الجهد للكشف عما خفي من جوانبه واظهار الوقائع والاحداث ودراستها دون تحيز او تدليس .

المبحث الأول – شخصية يوسف باشا القرمانلي ووصوله للسلطة :

هو ابن علي القرمانلي وتولي الحكم في عام 1795 م، ويعرف عنه انه اهتم بإعادة النظام ليشعر السكان بالطمأنينة وابدي أهمية كبيري في إصلاح ما أفسده من قبله.[1]

كان يوسف القرمانلي متعاليا ومتكبرا وذا إرادة حديدية حاسمة فيما يتخذ من قرارات، فخورا بأمجاد قومه لا ينثني امام العوائق [2] . وفي وصف شخصية يوسف باشا يقول مؤرخ الإرسالية الفرنشسكانية انه ليس بالرجل القاسي، ولكنه عنيد ومترفع ومتكبر لا يحترم القناصل ولا الدول الأوروبية[3].

كما كان يوسف القرمانلي رجل حسن المظهر يبلغ من العمر آنذاك أربعون عاما، رجل لا يخلو من الذكاء وحضور البديهة، وكان يتحدث الايطالية بشكل جيد، يحب الأُبهة والفخفخة، وكان شخص ماهر في دس الدسائس، علي استعداد للتخلص من تعهداته اذا تطلبت مصلحته ذلك، وكان قادرا علي استخدام جميع الوسائل للحصول علي المال [4]، ويعتبر يوسف باشا شخصية منشقة ومشاكسة، وعُرف عنه منذ نعومة أظافره بطموحه الكبير للسلطة، الطموح الذي قاده الي التمرد علي أبيه والسعي الي تصفية أخويه، حتي انتهي به الامر الي قتل احدهما وإبعاد الأخر من طريقه [5] .

كشف يوسف باشا عن الجزء الاول من طموحه السياسي للبلاد المتمثل في رفع طرابلس الي مركز القوة علي مسرح البحر المتوسط، وكانت مهمته صعبة بالنظر الي الظروف الاقتصادية والسياسية لطرابلس في ذلك الوقت [6] . ولما وصل يوسف القرمانلي الي السلطة حاول أن يضفي عليها الصفة الشرعية وان يكسب عطف السلطان، فبدل كثيرا من الجهود ليحصل منه علي فرمان بتعيينه نائبا له في إيالة (ولاية عثمانية) طرابلس الغرب، حيث ان الفرمان سيعزز وضع يوسف ويرفع مكانته في عيون السكان بعد كل الأخطاء المصاحبة لوصوله للحكم، لهذا جمع ابرز وجهاء البلاد وطالبهم بكتابة عريضة يثنون فيها علي وصوله للسلطة ويطلبون من السلطان تثبيته، وتوجت جهود يوسف القرمانلي بالنجاح ففي سنة 1797 صدر فرمان عينه فيه السلطان سليم الثالث نائبا في ايالة طرابلس الغرب، وأشير في الفرمان الي ان السلطان يعبر عن امله – بتعيين يوسف باشا في منصب أمير الأمراء ومنحه لقب باشا – في إصلاح أمور الرعية والأوضاع في الايالة .[7]

بعد ان حصل يوسف القرمانلي من السلطان سليم الثالث علي أمر التولية (الفرمان) وتأكد من استقراره علي العرش، اتخذ مسلكا معاديا نحو الدول الصغرى التي لم تقبل بمطالبه لدفع الجزية والهبات وعلي الأخص هولندا والدنمارك، وأمر رجاله المغامرين بمهاجمة سفن هذه الدول وسرعان ما تم اسر عدد من سفن هذه الدول وكذلك لم تنج سفن الدول الكبرى من مهاجمة رجال يوسف القرمانلي . [8]

ومن الواضح ان هذه الهجمات البحرية سوف تحتاج الي أسطول قوي يهابه الكل وهذا ما فكر فيه يوسف القرمانلي انذاك، حيث سخر كل وقته لتقوية الأسطول الطرابلسي وهذا ما سيتم تناوله في الدراسة في المبحث التالي .

المبحث الثاني – البحرية الطرابلسية (الليبية) وتطورها في عهد يوسف القرمانلي :

ان السياسية العامة للشمال الافريقي – والتي لقيت تشجيعا ملحوظا من الاتراك العثمانيون– قامت اساسا علي القوة البحرية، حيث كانت القوة البحرية القوية ضرورية لنشاط القرصنة، حيث كان علي الدول الاوروبية نظير استخدامها لممرات البحر المتوسط ان تدفع لدول شمال إفريقيا أموال الحماية وتكون عادة مصحوبة مع توقيع اتفاقية لهذا الغرض . واذا ما فشلت دولة أوروبية في توقيع الاتفاقيات مع دولة من شمال افريقيا،قوية.شلت في اي وقت في الإيفاء بالتزامات اتفاقياتها، فإنها تخسر صداقاتها مع هذه الدول وتعرض مرورها في البحر المتوسط الي غرامات تنتزع من قبل القراصنة، وان اي أسر تقوم به دولة من شمال افريقيا لا يسترجع الا بدفع اموال تحسب علي اساس قيمة السفينة مع ما تحمله من بضائع وعدد طاقمها، وتحصلت دول شمال افريقيا من هذا النظام علي عائدات كبيرة، غير ان طرابلس منذ منتصف القرن الثامن عشر فشلت في الاستفادة من هذا المصدر كنتيجة لإهمال بحريتها . وعلي هذا ومن اجل تلافي هذه الخسارة الاقتصادية قرر يوسف باشا بناء بحرية قوية . [9]

بدأ يوسف القرمانلي في عمليات التحصين والترميم وتقوية البحرية، ففي ديسمبر 1795 م قام يوسف باشا بتحصين الجهة الغربية من سور المدينة، مبتدئا بباب البحر، متجها نحو المقبرة المسيحية، وهو العمل الذي عكف عليه عدة شهور تحقيقا لسياسته الرامية الي تنظيم القرصنة، واقامة قاعد مضمونة تلجأ اليها [10] .

أما عن اسطول الايالة فلم يكن المطلوب منه حماية البلاد بقدر ما كان القوة التي تؤكد هيبة الايالة في البحر المتوسط، ولذلك كان الاسطول يمثل المهمة الاولية بالنسبة ليوسف القرمانلي، حيث كان يولي اهمية كبري لبناء السفن علي الرغم من المصاعب الجادة التي يلزم تخطيها للحصول علي خشب السفن من الدول الأخرى . [11]

وبعد ان رمم يوسف الحصون ووضع عليها ما يقارب من سبعين مدفعا، بدأ في أخر 1796 م بإصلاح ثلاث سفن محطمة، واضاف اليها سفنا جديدة، وفي خلال ما يقرب من سنة تضاعفت قود البحرية الطرابلسية وترك هذا التنامي للبحرية الطرابلسية انطباعا قويا في نفس السلطان العثماني الذي ارسل للباشا في سنة 1797 م سفينتين في الاولي اربعة وعشرين مدفعا وفي الثانية ستة وثلاثون مدفعا، مع قطع قماش القنب لصناعة الاشرعة والخيام وحبال ومواد تجهيز عامة للسفن [12]، أما اسبانيا التي كانت تقابل بالترحاب دائما

مطالب الباشا فإنها ارسلت اليه في نهاية عام 1797 م مهندس متخصص في بناء السفن ومعه بعض العمال المتخصصين في بناء وصيانة السفن، ووافقت علي ان يقوم الطرابلسيون بإصلاح سفنهم في ترسانة قرطاجة بإسبانيا [13]

كانت القوة البحرية الطرابلسية تتألف من ثماني سفن وأكبرها مزودة بأربعة وعشرين مدفعا، وكانت قيادة السفن بيد المدعو (بيتر ليزلج peter lisle) وكان بحارا فوق سفينة القنصل الانجليزي، وقد اعتنق الاسلام وسمي مراد رايس، وكان صديقا حميما للباشا الذي زوجه من احدي بناته، كما جدد يوسف باشا في 1800 – 1801 م البرج المواجه للبحر والواقع في منتصف الطريق بين الميناء والقلعة . [14] .

وبالنظر الي قوة طرابلس خلال هذا العقد قد اعتمدت الي حد كبير علي بحريتها، فمن المفيد ان نتتبع تنظيم البحرية، حيث بدأ تنظيما خلال الثلاث سنوات الاولي من تولي يوسف باشا العرش يظهر تدريجيا كنظام بسيط حيث يشكل كل قرصان – مع طاقم يتكون من عشرون الي ثلاثون رجل – وحدة من البحرية تحت قيادة رايس او قبطان، ويعتمد عدد الرياس علي الحجم العددي للبحرية، فكان اسطول القرصنة يتكون من احدي عشر سفينة، وكان هناك ايضا احدي عشر رايس . ومنهم : عمر الشلي، شعبان افندي، رايس محمد، علي الكلباش، الرايس اسماعيل، واخرون، وكان امير بحر اعلي ضباط البحرية وكان رايس البحرية الي جانب اشرافه علي اسطول القرصنة رئيسا للجمارك ومراقب حسابات الموانئ ، وكان تجنيد جميع ضباط البحرية بما فيهم امير البحر ورايس البحرية يتم من ثلاثة مصادر رئيسية : اولا كان هناك من اولئك الذين هم من اصل طرابلسي اغلبهم من السكان المحليين، ثانيا كان معظم الرياس من مرتزقة اتراك جُندوا من الشرق، ثالثا رياس آخرون أختيروا بعناية من بين المنشقين الأوروبيين ومنهم رايس مراد [15] .

وفي سياق الحديث عن تنظيم البحرية لابد من الحديث عن رئيس الميناء او وزير البحرية ، فقد كان رئيس البحرية من أعضاء مجلس الديوان البارزين في الايالة، ويشار اليه في الاتفاقيات المعقودة بين طرابلس والدول المسيحية بوزير البحرية، وله مهام كثيرة ومتعددة منها تجهيز الاسطول الحربي للغزو، وهو المسؤول عن حركة الميناء وتوفير الحماية اللازمة وتوزيع العوائد (المنح التي كانت تعطي للبحارة) علي بحارة المراكب ، والاشراف علي بماء

وصيانة الابراج وتسليحها، وقد يكلف بمتابعة المشاكل التي تحدث للمراكب، والاشراف علي شراء المراكب وصناعتها الي غير ذلك من المهام .[16]

وعندما اصبح بإمكان الاسطول الطرابلسي ان يظهر كقوة لها وزنها في حوض البحر المتوسط بدأ يؤثر تأثيرا واضحا في مجري السياسة الخارجية للبلاد، فقد استطاع ان يجبر بعض الدول الاوروبية ومن ضمنها الدنمرك وهولندا وايضا اجبر الولايات المتحدة الامريكية علي توقيع المعاهدات المشروطة في مقابل السلم لسفنها التجارية، وقد عادت هذه المعاهدات بفوائد كثيرة علي خزينة الباشا . [17]

المبحث الثالث – النشاط البحري للبحرية الطرابلسية والحرب مع البحرية الأمريكية في شواطئ البحر الابيض المتوسط 1800 – 1805 م :

مقدمات الحرب :

لقد عرفت طرابلس السفن الامريكية منذ ان كانت تزاول نشاطها تحت حماية العلم الانجليزي، ولكن بعد ا ن تمكن الشعب الامريكي من انتزاع حريته من الاستعمار الانجليزي سنة 1776 م، اصبح من المحتم عليه ان يرعي شؤونه بنفسه وان يعمل علي سلامة سفنه من اعتداء الاساطيل التابعة للشمال الافريقي .

غير ان الوصول الي اتفاق مع حكام شمال افريقيا لم يكن بالامر الهين لشعب حديث العهد بالاستقلال، لما يتطلبه تحقيق ذلك من مبالغ باهظة تُدفع كهدايا واتاوات سنوية، في الوقت الذي يحتاج فيه هذا الشعب كل امكانياته من اجل بناء دولته الجديد، ولذلك اتجهت الولايات المتحدة الامريكية الي البرتغال طالبة حماية سفنها، الا ان المسؤولين في الحكومة الامريكية عارضو هذا الاقتراح وذلك لان السفن البرتغالية نفسها لم يكن لها اي احترام من جانب اساطيل الشمال الافريقي، فاتجهت الي فرنسا ولكن فرنسا لم تقبل هذه الحماية لآنها وانجلترا قد اتفقتا علي خطة عدم تشجيع الدول الصغرى علي منافسة الدول الكبرى في المجال التجاري في حوض البحر المتوسط .[18]

وبذلك لم يعد امام الحكومة الامريكية من سبيل لهم الا بتعيين قناصل لها في دول شمال افريقيا وتمشيا مع هذه الفكرة حضر القنصل الامريكي الي طرابلس سنة 1799 م محملا بالهدايا الي الباشا فاستقبله يوسف باشا بكل ترحاب واتفق معه علي قيمة الاتاوة السنوية وعلي الهدايا . [19] .

وعندما بدأت خيوط القرن الجديد سنة 1800 م تسطع في الافق كان القناصل الامريكيون الثلاثة (وبراين في الجزائر، التون في تونس، كالكارت في طرابلس) في بلاد شمالي افريقيا، وعلي الرغم من تصريحاتهم المتكررة بانه علي الولايات المتحدة إما ان تسلك طريق الرشوة لتأمن شر (القراصنة) وذلك بواسطة إرسال البضائع والمؤن والهدايا المتفق عليها دون مماطلة أو تأخير، واما ان تحاول بث الرعب في صفوفهم وعرض قوتها البحرية أمامهم، الا ان الحكومة الأمريكية لم تعمل بأي نصيحة من النصيحتين . [20]

وفي تلك الاثناء كانت العلاقات الامريكية الفرنسية متوترة وبينهم حرب قائمة الا انه في سبتمبر 1800 م قررت الحكومة الفرنسية عقد هدنة مع الولايات المتحدة ووقف العمليات القتالية في البحر، وبالإضافة الي ذلك ان مقعد الرئاسة في الولايات المتحدة قد شغله الجمهوري توماس جيفرسون في مارس 1801 م، الذي سبق وان دخل في لجنة دراسة الأوضاع في أفريقيا، ووقف وقفة عميقة ضد دفع الاتاوات للجزائر وتونس وطرابلس، ودعي الي تشكيل تحالف للدول البحرية واقترح ضرب حصار علي موانئ الشمال الافريقي . [21]

كانت الولايات المتحدة الامريكية في ذلك الوقت لا تبدي اهتمام كبير بالدول الاقل قوة في نيابات الغرب، فقد ركزت همها في إرضاء المغرب والجزائر باعتبارهما قوة بحرية لها خطورتها في غرب المتوسط، وان تقيم علاقات ودية مع تونس وطرابلس (الاقل قوة) وأخذت علي عاتقها تقديم الاتاوة السنوية لهما، وفي هذه الأثناء حدث ما يستدعي حضور قنصل أمريكا كاثكارت الي مقر الباشا بعد ان سمع الأخير بالهدايا التي أرسلتها الولايات المتحدة الي باي تونس، وعندما ادرك الباشا ان كاثكارت لم يبد حماس في الاستماع اليه قرر ان يقوم بمخاطبة الرئيس الامريكي رأسا لعله يصل معه الي حل، غير ان رد الرئيس الامريكي لم يتسم بأي صفة ايجابية، وقد اغفل مطالب الباشا وأكتفي بالإيماء الي تلك القوة التي أرسلها الي البحر المتوسط مؤملا من الباشا الا يسئ تفسير وجودها هناك مادامت مهمتها محصورة في حماية التجارة . [22]

المناوشات وبداية الحرب البحرية :

كانت الأربعة شهور الأولي من سنة 1801 م عبارة عن فترة تأزم الأمور تدريجيا في شمالي افريقيا، ولقد تابعت السفن الامريكية رحلاتها وجولاتها في حوض البحر المتوسط، وكانت طرابلس التي تعتبر اضعف بلدان شمال افريقيا عسكريا منهمكة في إعداد طراداتها

وتجهيزها لعمليات بحرية مقبلة، والواضح ان التجارة الأمريكية كانت هي الهدف الذي ترمي اليه كل تلك التجهيزات والاستعدادات . [23] . وفي تلك الأثناء اقتنع يوسف القرمانلي بان لا فائدة تذكر من وراء محاولاته لتسوية الخلاف مع امريكا بالطرق السلمية، وبالتالي فلم يجد بدا من تحديد موقفه منها، وكما ذكرنا انه شخصية منشقة ومشاكسة فقد أرسل في يوم 10 مايو 1801 م وزيره محمد الدغيس الي القنصل الامريكي كاثكارت ليعلمه بشأن قطع العلاقات الدبلوماسية مع بلاده [24]، ولم يكن كلام يوسف باشا للقنصل الامريكي مجرد تهديد، وقد أعلن الحرب فعليا علي الولايات المتحدة الامريكية وقام بقطع سارية العلم الامريكي وإزالته من فوق القنصلية الامريكية [25] .

اما امريكا فكان عليها ان تقابل هذا التحدي بمثله، غير انها سعت الي السلام مرة ثانية، فأصدرت أوامرها الي قناصلها الثلاثة في الجزائر وتونس وطرابلس بالاجتماع معا في تونس ثم التوجه الي طرابلس لمقابلة الباشا ومحاولة الوصول الي تسوية سلمية معه، واجتمع بهم الباشا في طرابلس وبدأت المفاوضات غير انهم لم يصلوا الي نتيجة وذلك لإصرار الباشا علي موقفه مما أدي الي قطع المفاوضات والرجوع الي أماكنهم وهم علي يقين بأنه لا فائدة من المفاوضات مع الباشا الا اذا كان تحت دوي القنابل . [26] . وعلي صعيد اخر فإن المناقشات في الولايات المتحدة التي استمرت لفترة حول رد الفعل المناسب للتهديدات الطرابلسية انتهت عندما تلقي ماديسون تقارير مؤكدة من القنصل كاثكارت حول الأعمال العدائية للباشا، علي إثرها كلف الرئيس جيفرسون في يوم 22 مايو العميد البحري (ريتشارد ديل DAEL) لتولي مسئولية الأسطول المكون من الفرقاطة برزدنت ذات الأربعة وأربعون مدفع، والفرقاطة فيلادلفيا ذات الثمانية وثلاثون مدفعا، والفرقاطة اسكس ذات الاثنان وثلاثون مدفع والمركب الشراعي انتربرايز المكون من اثني عشر مدفعا، وابحر الأسطول الي المنطقة المقصود في يوم 2 يونيو 1801 م، وقد قضي الأسطول الامريكي 30 يوما في البحر ووصل الي جبل طارق في يوم 2 يوليو [27] .

ولم يعلم قائد الاسطول الامريكي بإعلان طرابلس الحرب علي امريكا الا عندما وصل الي جبل طارق للتزود بالمؤن والعتاد ، وكان لدي ديل اوامر خاصة في حال نشوب حرب مع طرابلس الغرب، ولما علم بالاعلان اتخذ قراره بالاستيلاء علي المراكب الطرابلسية المحجورة في جبل طارق [28]، حيث افتتح سلسلة تحرشاته بالاسطول الطرابلسي قبل ان يلقي مرساته في مياه البحر المتوسط، وقد وجد امامه السفينة مشهودة داخل الحجر الصحي

في الميناء (وهي سفينة القيادة لرئيس البحرية الطرابلسية الريس مراد)، برفقة السفينة سكونة، وقرر فورا ان يضع يده علي هذا الصيد السهل، زاعما ان مشهودة سفينة امريكية تدعي (بتسي) استولي عليها الليبيون ، ولكنه لم يستطع ان يضع يده عليهما لإن السفينتين في ميناء بريطاني محايد فلا يستطيع ديل ان يفعل شي حيالهم، لذلك ترك ديل الفرقاطة فيلادلفيا في جبل طارق لمراقبة مشهودة ورفيقتها ومهاجمتهما حين تخرجان الي عرض البحر، واتجه ببقية أسطوله الي البحر المتوسط . [29] .

وفي شهر ديسمبر 1801 م قامت الفرقاطة الامريكية يصحبها مركب شراعي ذو صاريين بقيادة العميد البحري (ديل DAEL) بالدخول للمياه الطرابلسية واستولت علي سفينة قرصنة طرابلسية ذات اربعة عشر مدفع [30]، وأسرت قائدها المدعو (محمد سوس) ثم اطلقت سراحه [31] . وبهذه المعركة البسيطة اختتم قائد الاسطول الامريكي سجل الحملة الاولي وترك سفنه تدرع شواطئ ليبيا وانطلق الي جبل طارق لتلقي معونة عاجلة، ولكنه تلقي نبأ إفلات الريس مراد وبحارته من الحصار تاركين مشهودة ورفيقتها في عهدة ملك المغرب، فكتب الي الحكومة الامريكية يخبرهم انه اذا كانت الولايات المتحدة تريد الاستمرار في الحرب فلابد من إحكام الحصار علي طرابلس، فردت الولايات المتحدة عليه باستدعائه الي واشنطن وإقالته من قيادة الأسطول [32] .

وفي يوم السادس من فبراير 1802 م اصدر الكونجرس قانونا يخول الرئيس جيفرسون من استخدام القوة ضد طرابلس، فقرر الرئيس إرسال اسطول ثاني الي البحر المتوسط وتم تعيين ريتشارد موريس قائدا لهذه المهمة [33]، وكان البحر الابيض المتوسط (قبالة الشواطئ الطرابلسية) آنذاك يضم ثلاثة قطع بحرية أمريكية وهي اسكس، وفيلادلفيا، وبوسطن، صحبة اربع فرقاطات تابعة للسويد التي كانت في حرب مع طرابلس ايضا [34] .

وبالرغم من شدة الحصار المضروب علي طرابلس فقد استطاعت السفن الطرابلسية التسلل لي عرض البحر من اجل المهاجمة، حيث اخذت اسري من طاقم سفينة امريكية، واسري من طاقم سفينة سويدية، وعندما اكتشف الاسطول الامريكي والسويدي ان حصارهما لم يكن مجدي فكا حصارهما وتراجعا، وفي 15 يونيو 1802 م استولت باخرة طرابلسية علي الباخرة الامريكية (فرانكلين) وكان يقودها موريس قائد الاسطول الامريكي، وقد اسرها الطرابلسيون قرب قرطاج ومن ثم اقتادوها الي الجزائر هي وبحارتها وتحصلت البحرية من

هذه العملية علي خمسة الاف دولار كان علي امريكا ان تدفعهم فدية لموريس ومعه اربعة اسري أمريكيين اخرين [35] .

وفي اكتوبر 1802 م اصدرت حكومة الولايات المتحدة الامريكية الي القائد موريس بمهمة تلقين يوسف القرمانلي اول درس عملي، فتوجه موريس الي طرابلس وحاول ضرب لمدينة بالقنابل غير ان مدافع القلعة والسواحل اضطرته للبقاء بعيدا، ولما لم يستطع موريس تحقيق اي نجاح في مهمته اضطر الي فك الحصار ومغادرة شواطئ طرابلس [36] . وبعد اشهر من المعارك الصغيرة زاد عدد البحرية الامريكية و سن الكونجرس تشريعا جديدا يمكن جيفرسون من اضافة اربعة سفن للبحرية الامريكية وفي سنة 1803 م ابحرت كل من : سفينة كونستيوشن الجديدة بقيادة الكابتن ادوارد بيربل (PREBLE) وسفينة فيلادلفيا بقيادة ويليام بينبريدج وثلاثة فرقاطات صغيرة من امريكا باتجاه البحر المتوسط [37] .وفي يوم 31 اكتوبر 1803 م وقعت عملية حربية اشد خطورة كان يديرها الاسطول الامريكي تحت امرة بيربل ولكن تلك العملية كانت وبالا علي الأمريكيين انفسهم [38]، حيث حاولت فيلادلفيا بقيادة بينبريدج مطاردة سفينة حربية طرابلسية مؤلفة من اثني عشر مدفعا ارادات الدخول الي طرابلس، وبسبب التعقب الغير ناجح من قبطان فيلادلفيا تعثرت فيلادلفيا في شواطئ طرابلس علي بعد خمسة اميال من الارض، وحاول القبطان وطاقمه تخفيف الفرقاطة بإلقاء المواد الثقيلة والمؤن في البحر، وبعد ساعات قليلة اطلقت حكومة طرابلس زوارقها الحربية للاستيلاء علي الفرقاطة فيلادلفيا [39]، وسرعان ما قرر بينبريدج انه اذا كان عليه تسليم فيلادلفيا فسوف يحرص علي ان تكون عديمة الفائدة فقام برمي معظم الاسلحة والمعدات والمدافع في البحر وقام بإحراق كل الاوراق والوثائق الحكومية الهامة [40] فأجبرت السفينة علي التسليم تحت القصف، وكانت فيلادلفيا مزودة كما ذكرنا باثنان واربعون مدفع تم التخلص من بعضها في البحر، وتحمل طاقم مؤلف من ثلاثمائة وسبعة رجال من بينهم تسعة وعشرون ضابط تم أسرهم ، وفي يوم 2 نوفمبر هبت رياح شمالية عاتية فأدت الي قلب الفرقاطة علي جنبها، غير ان الطرابلسيون نجحو في تعويمها ورفع العلم الطرابلسي عليها ثم سحبها وراء مقطورة الي الميناء وسط هتافات الاهالي . [41] .

ترك الاستيلاء علي فيلادلفيا صدي واسعا في الدول الاوروبية، ورأت الحكومة الامريكية ان خسارة فيلادلفيا عارا علي الوطن، وامام هذه الاوضاع قرر بيربل انتظار المدد من واشنطن ومواصلة حصار طرابلس، وفي يوم 13 ديسمبر 1803 م استولت السفينة

انترابرايز وكونستيليشن علي سفينة طرابلسية ذات ساريتين اسمها (انتربيد) وأُلحقت بالاسطول الامريكي، وتم دراسة خطة لاستعادة هيبة الامريكيين، ففي يوم 16 فبراير 1804 م تلقي ديكاتور امر بالتسلل فوق انتربيد الطرابلسية الي ميناء طرابلس مرفوقا بسفينة سيرين المجهزة بستة عشر مدفع وتدمير فيلادلفيا في مكانها ان امكن [42] وفي ليلة 17 فبراير 1804 م نجحت سفينتان شراعيتان تقلان ستين رجلا بقيادة الملازمين ديكاتور و استيوارت من التسلل تحت جنح الظلام الي الميناء [43]، وصعد الامريكيون الي فيلادلفيا وقتلوا حوالي عشرين طرابلسي كانوا فوق السفينة وهرب البقية منهم الي البر، وقبل وصول الدعم البحري الطرابلسي قام ديكاتور ورجاله بإشعال النار في الفرقاطة وغادرو الميناء وبعد بضع دقائق انفجرت الفرقاطة [44] . ومن المعروف ان صاري االملحق.يلادلفيا لايزال الي الان موجودا فوق القلعة الطرابلسية او ما يعرف بالسراي الحمرا في طرابلس . انظر الصورة [1] في الملحق .

وفي النصف الاخير من شهر مارس أسر البحارة الامريكان السفينة الطرابلسية (تران سفير) بمجرد عودتها من مالطا، وكان علي ظهرها ثمانين رجلا وسلاحها عشرة مدافع، وكان لحادثتي احراق فيلادلفيا وأسر تران سفير أثر سيئا في الوسط الشعبي الطرابلسي، الا ان هذه الحوادث لم تؤثر علي موقف الطرابلسيون . [45]، وفي يوم 25 يوليو 1804 م عاد الغمد بيربل فظهر امام شواطئ طرابلس علي رأس اسطول مؤلف من فرقاطة وثلاثة سفن وثلاثة مراكب شراعية وستة زوارق مسلحة وسفينتين منجنيق، ووقع الهجوم الاول في يوم 3 أغسطس وضربوا المدينة بالقنابل، وفي يوم 7 أغسطس وقع الهجوم الثاني وثم قصف المدينة لمدة ثلاث ساعات، وفي يوم 9 أغسطس أرسل بيربل مفاوض يمثله لكي يتقدم للباشا بفدية نقدية مقابل إطلاق سراح الاسري وابلغه بقرب وصول اربع فرقاطات اخري، غير ان كل التهديدات المتتالية لم تؤد الا الي عناد يوسف باشا فوقع الهجوم الثالث في ليلة 24 أغسطس دون جدوي، وفي ليلة 28 أغسطس شُن الهجوم الرابع بالمدافع، وفي يوم 29 أغسطس عاد بيربل فأرسل وفد مفاوضا جديدا للباشا ولكن لم تنجح المفاوضات، وفي يوم 2 سبتمبر عند الظهر وقع الهجوم الاكبر علي الاطلاق بالمدافع والقنابل غير انه لم يكن افضل نتائج من الهجمات السابقة . [46] .

وفي 3 سبتمبر شن بيربل هجوما واختار السفينة الطرابلسية انتربيد لمهمة قصف ميناء طرابلس، ولكن الطرابلسيون شاهدو الانتربيد وبدأو في اطلاق النار عليها حتي انفجرت لإنها كانت تحتوي علي ما يقرب من عشرة براميل مسحوق وحوالي خمسة عشر قذيفة، لذلك قرر بيربل تأجيل الهجوم .[47]

وعلي الرغم من الحصار الذي دام قرابة الشهر وضرب مدينة طرابلس بالمدفعية، الا ان يوسف باشا ظل علي صلابة موقفه، ولعل الأمريكيين قد سئموا خوض حرب ليس فيها منتصرا، كما ادركوا ان استمرارهم في خوض حربهم المسلحة لم يضع حدا للأزمة لذلك ذهبوا يبحثون عن أسلوب لعله يكون أجدي وانفع لهم لإجبار طرابلس علي التنازل . [48]

المبحث الرابع – نهاية الحرب البحرية بين طرابلس وامريكا :

من المعروف ان يوسف باشا حينما استولي علي السلطة من اخيه احمد التجأ الاخير الي مصراته، ولكن يوسف باشا لكي يتخلص من مشاكله عينه بيك في بنغازي ودرنة، ولكن لم يذهب الي بنغازي وذهب الي مالطا قضي فيها ثلاثة شهور ثم اتجه الي تونس.[49]

في تلك الاثناء رتبت الولايات المتحدة خطة جريئة لزعزعة استقرار طرابلس وهي اعادة النزاع بين عائلة القرمانلي من اجل نشوب حرب اهلية في طرابلس، وهكذا سعت الولايات المتحدة الي التواصل مع احمد القرمانلي شقيق يوسف القرمانلي، حيث قام ويليم ايتون بالبحث عنه وامر بجمع انصار احمد القرمانلي في درنة وبنغازي، وفي يوم 25 ابريل 1805 م استطاع ايتون واحمد القرمانلي عبور الطريق من الإسكندرية الي درنة وأمر إيتون بشن هجوم علي المدينة بالمدافع علي الرغم من وجود مقاومة ضئيلة، وتمكن ايتون من ان يسيطر علي درنة وبدأ في التحصين لمنع الهجمات المفاجأة من الباشا . [50]، وقد أرادات الحكومة الامريكية ان تحقق هدفين من وراء هذه الخطوة ان يكون لها مرفأ علي البحر المتوسط، وان ترغم يوسف باشا علي التفاهم تحت تهديد بازاحته من الحكم، ولما سمع الباشا بدخول اخيه احمد الي درنة ارسل دعم عسكري تحت قيادة ابنه الاكبر ولكنه لم يصل في الوقت المناسب للحيلولة دون احتلال الامريكيين لدرنة التي خضعت بعد يوم واحد من القتال، ورُفعت فوقها الراية الامريكية [51] .

وفي 27 مايو 1805 م وصل اسطول امريكي بقيادة (لير) الي طرابلس ولكنه لم يقم بضربها بل اكتفي بحصارها، وإزاء هذا الحصار رأي يوسف باشا انه من الأفضل ان يتفاوض مع الحكومة الامريكية لكي يتفرغ لإخماد الثورة التي أشعلها اخيه احمد في برقة[52]، وفي 4 يونيو 1805 م تم إبرام معاهدة السلام بين الولايات المتحدة الامريكية وطرابلس، وبعد وقت قصير سحبت الولايات المتحدة قوتها من درنة وأقنعت احمد القرمانلي بمغادرة درنة . [53] . وفي البداية طلب يوسف القرمانلي ان تدفع الحكومة مئة وثلاثون الف دولار فدية للاسري، ولكنه اشترط تحرير أسراه دون مقابل، ولكن اقترح القنصل إبدال الاسري رجل برجل وبم ان عدد الاسري الامريكيين عند الباشا اكثر عدد فأقترح القنصل ان تدفع الحكومة الفرق فقط، وتم الاتفاق علي ذلك وتم تحرير الاسري، كما ان المعاهدة لم تنص علي دفع الولايات المتحدة اية ضريبة سنوية ولكنها ستقدم مع كل قنصل جديد لها في طرابلس هدية للباشا، وصادق الكونجرس الامريكي علي المعاهدة في 21 ابريل 1806م.[54]

وبذلك انتهي الصراع علي السيادة في البحر المتوسط بين البحرية الطرابلسية والبحرية الامريكية دام لمدة 5 سنوات .

الخاتمة :

في ختام هذه الدراسة يتوجب علينا ذكر بعض الامور التي تم استخلاصها من البحث :

- عندما استولي يوسف القرمانلي علي الحكم من ابيه وقتل احد اخوته وابعد الاخر لم يحسب حساب ان اخيه سيكون في يوم ما اداة استطاعت استعمالها امريكا للحد من نشاط وخطورة البحرية الليبية التي أبدت تفوقا واضحا في تلك الفترة .
- ان اسر السفينة الامريكية فيلادلفيا يعتبر نصر كبير حققته البحرية الليبية، وهزيمة سجلها التاريخ للبحرية الامريكية التي لم تستطع تخليص الفرقاطة من الاسر ولم تجد وسيلة ترد بها الثأر سوي بحرق السفينة وإتلافها ، وذلك لأنهم عجزوا عن استعادتها .
- ان الاعوام الخمسة التي قضتها البلاد في المشاحنات لم تمض دون ان تترك بصمتها في مجريات الامور، فقد ادت الحرب الي قيام الاهالي بثورات مستمرة فيما بعد، ادت هذه الثورات الي زعزعة حكم الاسرة القرمانلية وادت الي سقوط دولتهم بعد قرن وربع

من السيطرة علي ولاية طرابلس الغرب، وجاء مرة أخري الأتراك العثمانيين الي السلطة بعد سقوطهم .

- ان الحربوالمراجع:طيلة خمسة أعوام ادت وبشكل كبير الي تقوية البحرية الأمريكية التي كانت في ذلك الوقت دولة صغيرة حديثة الاستقلال من الحكم الانجليزي وسرعان ما دخلت في مصاف الدول الكبرى وأصبحت بحريتها في مصاف بحريات الدول الكبرى .
- ان الأسطول البحري الطرابلسي لم تكن مهمته فقط النشاط البحري والإغارة علي السفن الغربية وفرض الضرائب عليها، بل لاحظنا انه كان يشارك أسطول الدولة العثمانية في حروبها التي خاضتها حيث وضع يوسف باشا بعض السفن الطرابلسية لخدمة الدولة العثمانية .

المصادر والمراجع :

1- الطاهر احمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي الي نهاية العهد التركي، ط1، دار الفتح، بيروت، 1970، ص 231 .

2- كوستاني برنيا، طرابلس من 1510 الي 1850 م، ت : خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، تونس، 2009، ص270 .

3- اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتي سنة 1911 م، ت : خليفة التليسي،ط 3، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 2009 ، ص 373 .

4- رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي، ت : طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، ص 132 .

5- نجم الدين غالب الكيب، فصول في التاريخ الليبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص 88 .

6- كولافو لايان، ليبيا اثناء حكم يوسف القرمانلي، ت : عبدالقادر المحيشي، ط1، مركز جهاد الليبين، طرابلس، 1988، ص 41 .

7- نيكولاي .أ بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتي مطلع القرن العشرين، ت : عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2001 ، ص155.

8- رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص 136 .

9- كولافو لايان، مصدر سابق، ص 43-44 .

10_ كوستانزيو برنيا، مصدر سابق، ص 281 .

11_ نيكولاي بروشين، مصدر سابق، ص 162 .

12_ كولافو لايان، مصدر سابق، ص 44 .

13_ رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص 137 .

14_ اتوري روسي، مصدر سابق، ص 374 .

15_ كولافو لايان، مصدر سابق، ص 45 .

16_امحمد سعيد الطويل، البحرية الليبية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات، طرابلس، 2012، ط 3، ص 176 .

17- نجم الدين الكيب، مرجع سابق، ص 89 .

18_ عمر علي بن اسماعيل، انهيار الاسرة القرمانلية في ليبيا 1795 – 1835 م، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ص 100 .

19_ اتوري روسي مصدر سابق، ص379 .

20_ لويس رايت، الحملات الامريكية علي شمالي افريقيا في القرن الثامن عشر، ت : محمد البعلبكي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1954، ص 105 .

21_ نيكولاي بروشين، مصدر سابق، ص 176 .

22_ نجم الدين الكيب، مرجع سابق، ص 100.

23_ لويس رايت، مصدر سابق ، ص 130 .

24_ نجم الدين الكيب، مرجع سابق، ص 103 .

25- ELLA PARSONS ,THE WAR OF THE BARBARY PIRATES k HISTORICAL PAPER , WWW.STATIC.SQUARESPACE.COM, P 5 .

26 _ عمر علي بن اسماعيل، مرجع سابق، ص 105.

27- Patreick Nartey , Barbary Pirates : Thomas Jefferson – William Eaton and The Evolution of u.s Diplomacy in the Mediterranean , Thesis , East Tennessee State University , 2013 , p 54 .

28_ نيكولاي بروشين، مصدر سابق، ص 177 .

29_ الصادق النيهوم، تاريخنا : ليبيا من القرن الهجري العاشر حتي الوقت الحالي، دار التراث، سويسرا، 1977، ص 98 .

30_ شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتي الغزو الايطالي، ت : محمد عبدالكريم الوافي، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994، ص 387 .

31_ اتوري روسي، مصدر سابق، ص 379 .

32_ الصادق النيهوم، مصدر سابق، ص 105 .

33-umima kirthiu , the american barbary wars 1801 – 1816 , university ahmed draia – adrar , dissertation , 2018 , p 36 . www.univ-adrar.edu.dz .

34_ نيكولاي بروشين، مصدر سابق، ص 181 .

35_ نجم الدين غالب الكيب، مرجع سابق، ص 107 .

36_ عمر علي بن اسماعيل، مرجع سابق، ص105 .

37 - ELLA PARSONS , 0.P , P 5 .

38_شارل فيرو، مصدر سابق، ص 387 .

39- UMIMA KIRTHIU , O.P . P 41 .

40- ELLA PARSONS , 0.P , P 6 .

41_ محمد مفتاح الميلادي، مبني القنصلية الامريكية : دراسة تاريخية للمبني والعلاقات الليبية الامريكية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004، ص 27 .

42_نيكولاي بروشن، مصدر سابق، ص 186 .

43_ نجم الدين غالب الكيب، مرجع سابق، ص 110 .

44- UMIMA KIRTHIU , O.P . P 43 .

45_ نجم الدين غالب الكيب، مرجع سابق، ص 111 .

46_ شارل فيرو، مصدر سابق، ص 388 .

47- UMIMA KIRTHIU , O.P . P 44 .

48_ نجم الدين غالب الكيب، مرجع سابق، ص 112 .

49_ عمر علي بن اسماعيل، مرجع سابق، ص 111 – 113 .

50- UMIMA KIRTHIU , O.P , P 45 -46 .

51_ كوستانزو برنيا، مصدر سابق، ص 289.

52_ عمر علي بن اسماعيل، مرجع سابق، ص113

53- UMIMA KIRTHIU , O.P , P 47 .

54_ محمد مفتاح الميلادي، مرجع سابق، ص 40 .

الملحق :

الصورة [1] * : صورة صاري الفرقاطة فيلادلفيا فوق السراي الحمراء في طرابلس